أخر سن الزواج
و أبرز انعكاسات الألفية الثالثة
عليه الانعكاسات النفسية
و الأخلاقية.

أ / شريبط وسيلة.
جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية .

مما لا جدال فيه أن الزواج هو الوسيلة الوحيدة و الأساس السليم لتكوين الأسر وتحقيق مقصد استمرار النوع الإنساني، و هو تجلي حقيقي وعملي لفطرة الله في الإنسان ذلك أن الحياة لا تستمر إلا بالزواج المتجدد جيلا بعد جيل.

كما أن الإسلام ينظر للزواج على أنه السبيل الوحيد لتحقيق مزايا روحية و عبادية وتعبدية أيضا، وهو وسيلة للاستقامة ومجاهدة النفس ودوام رعايتها تجسيدا للجانب الأخلاقي، ودعما للجانب الاجتماعي، كما أنه الوسيلة الأنجع للقضاء على كثير من الأمراض و الوقاية منها[1].

وتبرز ظاهرة تأخر سن الزواج كمشكلة ألقت بظلالها على كاهل المجتمعات فهي على اختلاف أسبابها موجودة في كل البلاد، كما أنها تخطت حدود المكان لتصل إلى حدود الزمان و تحديدا مع دخولنا عتبة الألفية الثالثة و ما أفرزته من تعقيدات مست جوانب مختلفة من الحياة نظرا للترابط الوثيق بينها ما زاد الوضع تعقيدا وهي: اجتماعية، تربوية، ثقافية، سلوكية، فكرية، نفسية، اقتصادية، سياسية، علمية.....

لهذا فتأخر سن الزواج يؤدي إلى تعطيل مقصد هام من مقاصد الشريعة في مجال النسل، خاصة من جانب الفتيات اللاتي يفضلن مواصلة التحصيل العلمي العالي، غلاء المهور، الشروط التعجيزية، التفلت

[1]- لأكثر تفصيل: طارق إسماعيل كاخيا، الزواج الإسلامي، ط3، دار العلم للطباعة والنشر، 1402هـ/ 1984، ص 18-26.

الخلقي..... كل ما سبق وغيره مدعاة لكثير من التساؤلات و الاستفسارات ومن بينها، هل تأخر سن الزواج وضع طبيعي في كل جيل أم أنه وضع مرضي أملاه التطور الحاصل في القرن الواحد والعشرين يحتاج إلى علاج خاص؟ ثم ما ذا يترتب عن حسم العلاقة بين الالتزام والنصيب أو المكتوب؟ وماذا عن الصداقة بين الجنسين التي تفشت على النموذج الغربي إلى أين ستصل بأطرافها وكذا بالمجتمع عامة؟.....

إذن برزت مشكلة العنوسة[1] في الجزائر برغم قدمها خلال العشرية الأخيرة من القرن الواحد والعشرين، بل زادت بشكل ملفت ما اقتضى بسط الكلام عن أهم أسبابها ثم آثارها، ما يستتبع تلمس بعض الحلول على ما هو كائن و ممكن في ظل المستجدات الحالية و الرهانات المستقبلية فيما لو زاد الوضع تعقيدا، ذلك أن التطور الديمغرافي و المصاعب الاقتصادية و الاجتماعية قد أفرز آثارا على البنية الأسرية، مما تسبب في انخفاض معدل الإنجاب ووجود أسر قليلة الأفراد، ما يعني ازدياد عدد من يشيخ ويبلغ به الكبر، و أيضا تسبب في بروز وضع مضطرب من النواحي النفسية و الاجتماعية خاصة.

نأمل من خلال عرض هذه الإشارات و غيرها للنقاش والخبرة الخروج بحلول عملية خاصة تساهم في التخفيف من تبعات هذه الظاهرة إن على المستوى الفردي أو الجماعي.

الأسباب النفسية و الأخلاقية للعنوسة وما يترتب عنهما:

يشهد هذا العصر ثورة جنسية عن طريق الفضائيات و الأنترنات بما يبث عن الثقافة الجنسية غير المنضبطة و بصورة إباحية ما أدى إلى انخفاض ممارسة الزواج على الوضع العادي، وتورط الشباب في مختلف البلاد في ممارسة الجنس قبل الزواج، حيث إن إقامة العلاقات غير المشروعة بين النساء والرجال في حال غياب الوازع الديني لأجل اتساع الرغبات الجنسية، على اعتبار أن الإنسان خارج نطاق الانضباط، ميال إلى تلبية غرائزه خاصة مع هذا العصر المتميز بشيوع أساليب الغواية و الإغراء المتصور و غير المتصور مما قد يخطر على بال أو قد لا يخطر، وازدياد انتشار الفتن التي لا تجد متنفسا لها إلا بالحرام، والتي تعترض طريق الصالحين أيضا، ما يعني أن ضعف الوازع الديني يسلب الإنسان التحكم في رغباته و غرائزه مما يقوي نداء الشيطان والنفس الأمارة بالسوء للوقوع في المعصية والإثم فينتشر الزنا

[1] – إذا كان الإشكال موضوع الدراسة هو العنوسة القسرية فإنه يلاحظ في هذا الصدد بالمقابل مصطلح العنوسة الاختيارية التي تتم بمطلق الإرادة و الاختيار، كعدم الرغبة أصلا في تحمل مسؤولية البيت والأولاد، أو لتجربة خاصة أدت إلى اتخاذ قرار عدم الارتباط، كذلك يلعب الاستقلال الاقتصادي للمرأة وعيشها في مسكم خاص مما يعني عدم حاجتها للزواج...ومع هذا تحمل العنوسة الاختيارية داخلها معنى العنوسة القسرية التي يتحمل المجتمع في جميع أحوالها التبعات.عبد الحكيم أسابع، العنوسة تهدد الأسر العربية، الجزائر، دار الهدى، ص 110-111.

والسحاق و الشذوذ الجنسي، وهذا يؤدي إلى هتك الأعراض و الوقوع في المحظور الذي يعني هتك ستر الله و العار والفضيحة[1].

إن الظواهر الانحلالية التي طغت على المجتمع و المفاسد التي انتشرت و استفحل أمرها، ما يطرح الوضع الآتي للسؤال: من يفكر في الزواج و السوق ملئ بما يريد وكل السبل تشجعه على انتهاج طريق الرذيلة؟، و يبقى أن للتسلية المحرمة ضريبتها في العاجل والآجل.

إذن فالمرأة العانس وسط حبائل الشيطان والملذات، و الإغراءات، وصاحبات السوء تكون أسهل نحو الدخول في عالم الرذيلة بكل ما يعنيه و ما يفرزه من مآسي اجتماعية و نفسية وأمراض خلقية و أخرى حسية، تصل إلى حد الهوس الجنسي الذي لا يأتي على صاحبه حتى يقضي عليه و يحطمه من جميع النواحي.

لعل الإشكال الذي تدور حوله مشكلة العنوسة هو الجانب الأخلاقي و مسألة الانفلات نحو الشذوذ، وما يرسيه من مآلات دنيوية و أخروية ولعل أصعبها ما يكون يوم العرض على الله تعالى، زيادة على مسألة الرضا والقناعة بالنصيب (عسى أن تحبوا شيئا و هو شر لكم و عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم)، إن المظاهر المادية غالبا ما تكون خادعة إلا ما رحم الله تعالى قصة الغامدية أروع مثال على تطهير النفس و علو الهمة و الخوف من النار.

لا أقول أنه يفترض في كل فتاة أن تكون طاهرة و لكن تغليب الفضيلة يحمل حتى المنحرفات إلى سواء السبيل، وهن أولى بالرعاية لإمكان صلاحهن بتوفيق الله تعالى.

إن بسط الكلام عن الأسباب النفسية لظاهرة العنوسة يأخذ طابعا خاصا باعتبار أنها متعلقة بحالات خاصة من الأفراد، وتختلف من وضعية نفسية إلى أخرى، بمعنى أنه لا يمكن تلمسها بشكل ظاهر ومادي، ولكن لها دلالات واقعية تكشف عنها سلوكات يمكن تفسيرها بأسباب نفسية، ولكنها تبقى في الأصل حالات فردية[2]

وإذا كان الإسلام جاء لبناء الإنسان صحيا من الناحية النفسية السوية، وهذا بما يحدثه الإيمان في النفوس من طمأنينة و سلام وراحة، ما يبعد المسلم و المسلمة من السلوك غير السوي وغير اللائق، وينهاه أيضا عن الفحش في القول والفعل والمنكر والبغي، و يأمره بالعدل و تزكية النفس، ونماء الإيمان مما يبقيه ثابتا أمام مغريات الحياة و أحداثها، هذا ونشير إلى أن التطور الحاصل في مجتمعنا هو مزيج

[1]- الحقيقة إن الاختلاط غير المضبوط بين الجنسين أهم مشكلة في فتح باب السعار الجنسي.انظر: عمر سليمان الأشقر، المرأة بين دعاة الإسلام وأدعياء التقدم، 1400هـ/ 1980، الجزائر، مكتبة رحاب، ص 33-34.

[2]- عبد الرب نواب الدين آل نواب، تأخر سن الزواج أسبابه، أخطاره، وطرق علاجه على ضوء القرآن العظيم والسنة المطهرة، النشرة الأولى، السعودية، دار العاصمة، 1415هـ، ص 190.

متناقض و متفجر بين الموروث القديم بإيجابياته وسلبياته، والانفتاح الذي لا مناص من قبوله و الاعتراف به من جهة تمحيصه وذلك بقبول المقبول منه وطرح الشاذ الذي لا يزيد الأوضاع إلا تعقيدا على ما هي عليه ونتلمس من ذلك الآتي:

1) الخوف من الزواج ذاته: إن الرغبة في الزواج من علامات رشد الإنسان و نضجه، ودلالة على الرصانة والتعقل في الأمور،عكس ذلك غير الراغب في الزواج، أو الذي لم يجد له سبيلا، فهذا دليل واضح على الاضطراب وعدم الانضباط، إذ الزواج علامة على الرشد و تكامل البناء النفسي والعقلي، و الإعراض عنه معناه كذلك الإعراض عن إكمال نصف الدين من غير مبرر مشروع كمرض عضال أو كبر سن وغيرهما ما يؤكد مظاهر اعتلال النفس و انحراف سلوكها.

والحياة العملية تكشف عن حالات من العنوسة منشؤها اعتقاد البعض من الفتيات أن الزواج كالسجن يسلبهن حريتهن و يقضي على ما يطمحن تحقيقه والوصول إليه، وهناك البعض الآخر من تعيش مرارة الشجار الدائم بين الوالدين مما يكرس في الأذهان أن الرجال جبابرة مسيطرون، يحتقرون المرأة و لا يتعاملن معها إلا بلسان جارح أو يد مؤلمة.

كما أن هناك اعتقاد آخر عند بعض الفتيات من عدم القدرة على تحمل المسؤولية و أعباء الزواج المختلفة، أو لتيقنهن عدم الصلاحية لإنشاء أسرة نتيجة ضعف الشخصية و خوار العزيمة و يمضي الوقت على هذا و يفوت قطار الزواج.

2) الخوف من المستقبل والشريك: هذا السبب كان قبل زماننا محصور، ولكن في وقتنا هذا يشكل سببا من الأسباب الوجيهة لرفض الزواج لعدم ضمان ما قد يحدث في المستقبل القريب والبعيد، وما هذا إلا نتيجة الثقافة الوافدة من الغرب، ذلك أن الأصل في حياة المسلم الإيمان بالقضاء والقدر، فهو دائم اليقين أن ما أصابه أو سيصيبه لم يكن ليخطئه، و ما أخطئه لم يكن ليصيبه، فهذا جماع الأمن النفسي والطمأنينة زيادة على تحري وسائل التأكيد كالاستخارة و الأخذ بالأسباب و التوكل على مسبب الأسباب سبحانه.

3) الانطواء على النفس و عدم الثقة فيها: إن عدم الثقة في النفس مرجعه أسباب عديدة و عوامل مختلفة أهمها أسلوب التربية الذي يتبعه الوالدان إما لكثرة التذليل و تلبية كل الطلبات مهما كانت الظروف و الإمكانات، أو العكس كثرة القسوة و البطش مما يضعف الإرادة و يزرع في النفس الإتكالية و دوام التعلق بالغير للاحتياج المستمر لهم، وربما يمتد هذا الوضع إلى ما بعد سن الرشد فيكون للأب أو للأم السيطرة التامة على حياة الأبناء بما يرياه دائما الأصوب والأصلح، وبما يتخذانه من قرارات، وهذا في الحقيقة انحراف في السلوك يؤدي إلى الانطواء النفسي الذي يكون في أغلب أحواله

العادية ناشئا عن توهم المرض خاصة و أن الحياة المعاصرة مليئة بالصخب و تزاحم المسؤوليات، وكثرة الأعباء ، و ازدياد المؤثرات الاجتماعية و الثقافية المتناقضة ما يجعل الإنسان متوتر لحد الترقب تعقبه انفعالات مما يؤثر في مجريات الحياة عامة، بحيث يصرف عن مباهج الحياة و يثبط العزيمة و يقيد الإرادة، وكل هذا من خصائص المجتمعات المادية التي تفتقد إلى الجوانب الروحية و إلى الطمأنينة، مما يبرز حياة العزلة والانفراد الذي هو شذوذ وعدوان على الفطرة السليمة، و مظهر مرضي من الناحية النفسية والبدنية.[1]

كما يعتبر الاكتئاب و العزوف عن الحياة مظهر مرض نفسي يحتاج صاحبه لزوم جانب الاستغفار، والبهجة و السرور إنما يتحققان في الزواج و إلا ففيما تكون البهجة، كما أن كره الحياة وتمني الموت إنما هو من سمات المجتمعات المادية التي تستقبل يومها و تنهيه بالتوتر والقلق بما سيجري من أحداث و الأولى استقبال اليوم بالاستبشار بالخير و نبذ القلق وعدم تمني الموت.

4) وجود عاهة أو إعاقة لدى الفتاة: تتعرض الفتيات لبعض العاهات والتشوهات أو الإعاقات أو حتى الأمراض المزمنة، بالرغم من أن ذوو العاهات قلة في المجتمع و هم من أصحاب الأعذار، بالرغم من توفر درجة من القوى العقلية والنفسية و القدرة على الإبداع وممارسة الحياة الطبيعية، ورب زوجة ذات عاهة خير من كثيرات من السويات في المقدرة على بذل العطف و على الإخلاص لأزواجهن و عائلاتهن.

5) اختفاء أنوثة المرأة ورقتها: نتيجة الحرية التي تتمتع بها كثير من فتيات هذا العصر، لم تترد الكثيرات في استغلال هذا الوضع لإتباع سلوكيات مستهترة و هذا بحضور الحفلات الراقصة والنوادي و الخلوة و الذهاب في علاقات مفتوحة مع الجنس الآخر إلى أبعد الحدود حيث يقعن معها في كل محظور، ويأتي التشبه بالرجال فتفقد الفتاة سر أنوثتها فلا تحسب من بنات جلدتها و لا من بني جلدتها، كما أن لماديات الحياة الراهنة يد في عزوف البنت عن الزواج نتيجة زيادة دخلها المادي ما أكسبها أشياء استلزمت مصاحبة المظهر الخارجي كاتخاذ مسكن خاص.

6) رفض التعدد: تتحمل نتائج رفض التعدد أطراف متعددة باعتباره أحد أوجه العلاج الممكن به تطويق دائرة العنوسة وهذا بتطبيق وتجسيد ضوابطه والفهم الصحيح له[2] لهذا تقع المسؤولية على

---

[1]- المرجع السابق نفسه، ص 202-203.

[2]- لعل من الصور غير المحببة للتعدد وبالتالي لا تشجع عليه صورة الرجل القاسي البذيئ اللسان الظلوم، الذي لا يعرف للعشرة وجها و لا يتحمل المسؤولية حيث تراه يجمع حوله العديد من النساء من أجل المباهاة فقط، وآخر فقير معدم لا يستطيع تحمل مصاريف زوجة واحدة فكيف يعدد و يبحث عن زوجة ثانية وثالثة وهكذا، وهناك رجال يجمعون و لا يعدلون بين

الفتيات و على الأسر إذ غالبا ما يرفض الرجل لكونه متزوجا بناء على الأعتقاد بعدم بناء السعادة على تعاسة الأخريات، ثم تمضي السنون ومع التقدم في السن قد تقبل الفتاة بالتعدد و لكن أين هو؟.

الأخطار النفسية: نعيش في زمن يتميز بالتغير السريع في أنماط الحياة والسلوك وكذا التفكير، مع وفرة وسائل الاتصال والإعلام، وسهولة المواصلات وبالتالي التنقل و الاحتكاك، كما أن المجتمعات الإسلامية حاليا تشهد صراعا محتدما حضاريا و ثقافيا لم يسبق له مثيل في مجال الثقافة و مختلف الاتجاهات الفكرية و التقلبات النفسية، ومن ذلك تأخر سن الزواج في معظم البلدان إلى غاية نهاية الأربعينات وبدايتها إذ يعد هذا الأثر من أهم عوامل الغزو الفكري الذي نتجرع مرارته و مآسيه.

و إذا كان الواجب على الإنسان السوي إشباع غرائزه و تحقيق العفاف أو الاستعفاف المطلوب الذي بدوره يحقق و يوفر أمن النفس و هدوء الأعصاب و استقرار الضمير و راحة البال، و إلا فسنكون بصدد الآثار غير المرغوب فيها لعدم الزواج حيث يحرم العوانس من فاعلية اتزان الانفعالات النفسية و من صور ذلك:

* عدم القدرة على توفير الحاجة من ترفيه النفس بالمتعة الحلال بالطريق الحلال، ولهذا الترفيه معنى شرعي حتى تقوى النفس على العبادة والطاعة، فالنفس بطبعها تميل إلى السأم وتحيط بها الغرائز من كل جانب، فإذا لم تترفه وتتنفس بالحلال جنحت إلى الفساد و الإفساد و صدق الله تعالى القائل: ژ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ ژ [1] وهذه المقاصد في سموها وعظم مكانتها آية من آيات الله فالعوانس تحرم من هذه المقومات النفسية الأساسية.

* الحاجة إلى إعفاف النفس إعفافا آمنا مطمئنا، فلا عداوة مرتقبة تشوبه ولا خوف و لا رهبة ولا أحقاد و لا جحود[2] فغريزة الجنس عند المسلم مقيدة بقيد التعقل والتدين و المروءة والخلق الفاضل، فإذا لم تؤطر بالشرع والأخلاق أنذرت بشر كبير ، كما أن فرض القيد الأخلاقي على هذه الغريزة أمر اقتضته مصلحة الإنسان ذاته قبل مصلحة المجتمع، وإلا عاش الإنسان لنفسه في شهوانية و أنانية أعتى من وحشية البهائم.

فمن مقررات علم النفس أن الكبت يولد دائما الانفجار فلا رهبانية في الإسلام ولا بهيمية و لا إباحية، بل الأدهى في ظل الإباحية عدم الاكتفاء بشتى النساء حتى يصل الأمر إلى المحارم كما هو واقع عمليا في المجتمع الغربي المتحلل، وما ينتج عن الإباحية من أمراض نفسية كالاكتئاب و كراهية النفس

الزوجات مما يسبب مشاكل و نزاعات بين الزوجات خاصة في مسائل الإنفاق، وتصل بدورها إلى الأبناء حيث ينتصر كل لأمه مما يساعد على التفكك الأسري. انظر: عبد الحكيم أسابع، العنوسة، المرجع السابق، ص1118

[1]- الروم/ 21.

[2]- تظهر هذه الحالات المذكورة أعلاه خاصة في حال الزناة والعياذ بالله تعالى ، والزواج السري أو العرفي.

واحتقارها، وكراهية الناس والحياة، والحقد على المتزوجين و حب تعذيب الأطفال، وغيرها من سلسلة الجرائم والموبقات[1].

* الحرمان من إشباع غريزة الأمومة بالخصوص وهذه الغريزة أودعها الله تعالى في أعماق النفس البشرية و وضع العراقيل أمامها يؤدي إلى الانحراف النفسي، إذ يصرح علماء النفس أن أسباب تزايد نسبة اللقطاء كثيرة من بينها تأخر سن الزواج في المجتمع.[2]

لعل أخطر ما تتمخض عنه مشكلة العنوسة تلك الخلة و الصداقة بين الجنسين عبر وسائل الاتصال و ضمن اللقاءات السرية والعلنية خاصة ما تشهده الجامعات من حدود اللامعقول في تعامل الفتيات والشبان إذ صارت الجامعة مرتعا خصبا لما يمكن تسميته مظاهر الانحلال صارت أيضا مفتوحة إذ يمكن اعتبارها من الأماكن العامة والخاصة في آن واحد بحيث أصبح التحصيل العلمي من أدنى الاهتمامات، وانتشار استعمال الهواتف و خصوصيتها لشريحة عظمى من الناس خاصة الشباب سهل من مهام الاتصال و الحديث لساعات في الليل أكثر من النهار وطبعا الحديث كله يدور حول ما تراه الفتاة عن الشبان والشبان عن الفتيات و أستعمل صيغة الجمع لإمكانية التعدد هنا دون حرج وتنتهي السنوات و لا يتزوج الشاب إلا من بنت الحلال و لا تتزوج البنت إلا من الوسط المعروف، هذا إذا قدر لهما الزواج أصلا.

ناهيك عن المعاصي المرتكبة حتى في وضح النهار و أمام مرأى من يريد ومن لا يريد، و الفتنة اليوم أشد و أنكى في صنوف لباس النساء الذي يكاد يكشف كل العورات و للخيال أن يسرح في تصور المحظور كيف شاء، بل إن صورة اللباس تبعث على تقزز النفوس السليمة وعلى استهجانها، فكيف بضعاف النفوس من الشباب لضعف الإيمان ونوازع الخير في النفوس، إذن فالتبرج والسفور، و إظهار المرأة لمفاتنها و استعراضها لها في صورة مثيرة مرجعه السلوكي ترضية رغبة الطرف الآخر، أو هو يعبر عن وجود الشهوة الداعية إلى ذلك، وهكذا يصار إلى مشاكل اجتماعية، نفسية، أخلاقية، اقتصادية، مستقبلية....ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس.

من صور الانحراف كذلك و يعد تأخر الزواج من أسبابه الأولى مشكلة الاستمناء، وهو الإنزال باليد والعبث بالأعضاء الحساسة، وهو فعل محرم لا يفعله إلا ضعيف الإيمان لقوله تعالى: ﴿ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ﴾[3]

---

[1]- عبد الرب نواب الدين آل نواب، تأخر سن الزواج، المرجع السابق، ص 246-247.

[2]- تتعدد أسباب تزايد نسبة الأطفال غير الشرعيين نتيجة تزايد مسمى الحرية الجنسية، مع قلة الاهتمام بالدين و السلوك الأخلاقي، كذلك أثناء الحروب، والتغير الاجتماعي السريع، وعند أحوال عدم الاستقرار، والجهل والفقر.

[3]- المعارج/ 29-32.

والاستمناء يدخل في معنى * فمن ابتغى وراء ذلك* فكان على هذا حكمه التحريم لأنه عدوان على النفس و الجسد و العقل، و إن كان العلماء يرون إباحته للضرورة و دفعا للضرر الأكبر و هو فاحشة الزنا، لكنه في جميع الأحوال مذموم.

ومن الصور كذلك الافتنان بالأفلام الداعرة والمسلسلات الغرامية و المدبلجة التي بدورها تدغدغ العواطف و تثير المشاعر و تحرك الشهوات، وأيضا ما تثيره المعاكسات الهاتفية الغرامية غير البريئة، حيث الانشغال بهذه الانحرافات فضلا عن ضياع الأوقات الغالية، وفضلا عن فقد الخلق الكريم، يصرف عن الأعمال المثمرة، ويقف حاجزا عن بناء المستقبل، والاعتماد على النفس فتكون الخسارة في حق الأنفس و المجتمع والأمة.[1]

العلاج:

أولا تحديد دائرة العنوسة: القواعد من النساء، المطلقة، المتوفى عنها زوجها.

لم يبلغ السيل الزبى لهذا فإن من أهم ما يثري و ينمي نوازع الخير في النفس التربية الروحية التي هي في الأصل جزء من التربية الدينية، فتعطي العبادات المفروضة ثمارها المباركة في السلوك و الرزق ضمن حياة اجتماعية طيبة و هي رأس الأمر كله، ولئن كانت العنوسة واقعة لا محالة فالأولى بالإنسان أن يتجمل بالدعاء والتضرع لكشف البلاء، فالخشوع و الانكسار أمام الله تعالى لسؤال رحمته وعفوه، و ذلك بالإكثار من الدعاء بالقرآن والأحاديث المأثورة والأدعية المستحبة خاصة تحري أوقات الاستجابة، ومنها الثلث الأخير من الليل، ولعل من أهمها ماجاء في الآية الكريمة: [ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما][2].

فحصول الزوجة الصالحة على الزوج الصالح نعمة عظيمة ومنة جليلة، والعكس صحيح، وبهذا تحصل السعادة تحت سقف الزوجية يتعاون الزوجان على الخير والشر، ويتناصحان حتى تتقدم الحياة أكثر فأكثر نحو الأمان والاستقرار.

نلحظ حل هذا الوضع اللأخلاقي أولا في الوضع العادي أي في الزواج، و إلا فإتباع نهج وهدي النبي- صلى الله عليه وسلم- :(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أحصن للفرج ، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) وفي هذا كل الحفظ والخير، و لأن النصيب من الله فمن تمسك بحبله فلن يخيب أبدا.

---

[1]- عبد الرب نواب الدين آل نواب، تأخر سن الزواج، المرجع السابق، ص 240-241.

[2]- الفرقان/ 74.

ومن آثار التربية الروحية أن يكون القصد من الزواج إعفاف النفس و طلب الذرية الصالحة، فلهذه النية أجر عظيم، فالاستعفاف المتأتي عن الزواج عبادة و قربى يؤجر فاعلها، و يأثم تاركها القادر عليها، ولعل من أبرز آثار التربية الروحية التبكير في الزواج بما يتناسب والقدرات العقلية والنفسية خاصة.[1]

فالتربية الإسلامية بكل مضامينها و فروعها و أساليبها هي العلاج والترياق لمشكلات الناس المتنوعة التي مرجعها الأساس:

- ضعف الإيمان في النفوس لغلبة مادية الحياة و اعتبار الشكليات والمظاهر كأساسيات.
- ضعف الثقافة الإسلامية خاصة في الواجبات الشرعية المتعلقة بمسائل الأسرة التي إن غذيت بالوازع الأخلاقي ترتفع عن حطام الدنيا و مفاسدها

يجدر بنا في هذا العصر خاصة نشر ثقافة الزواج و التحسيس بخطورة العنوسة وبيان أوجه وجوبه و استحبابه، وذلك عبر مختلف الوسائط الفاعلة، ومختلف المجالات و من خلال الكتابة أيضا و الوسائل الإعلامية المتعددة، لإعادة التذكير بأبعاد الآيات و الروايات المؤكدة وبيان فلسفتها، وتدعيمها بالقصص الواقعية وخاصة التركيز على الجوانب الصحية أي النفسية والبدنية للزواج.

ومن الضروري في المقابل التحسيس بخطورة الوضع الذي آل إليه حالنا بمساهمة الأطراف الفاعلة من أساتذة و باحثين و دارسين ودعاة و أئمة و خطباء و مسؤولين و أعيان، و مختلف نشطاء منظمات المجتمع المدني، و ألا تترك القضية للمناسبة بل لا بد من تدعيمها خلال أشهر السنة، وهذا بإقامة معارض وندوات و إلقاء محاضرات ببيان أهمية الزواج ومضار العنوسة، وتجريم فعل الزنا و الاغتصاب وما ينجر عنها، و إبراز العفة و الأجر عليها، وبيان فضل تربية البنات خاصة وإعانتهن على الطريق القويم، والتأكيد أن الزواج حق مشروع للمرأة على أساس النظرة المعتدلة للإسلام بخصوص مسألة الزواج و ما يرتبط بها من علاقات، كذلك تفعيل الجانب الميداني بتقصي الجوانب الخفية لظاهرة تأخر سن الزواج حتى يتم دراستها و تحليلها وبالتالي إعطاء ما يناسبها من حلول واقعية تساهم في التخفيف من وطأتها ومن ذلك تشجيع الزواج المبكر وكذا الزواج الجماعي.

توجيهات عملية لمعالجة العنوسة:

نرى أنه من الداعي أن نختم هذه المداخلة ببعض التوجيهات العامة التي تهم العوانس وغيرهن، وليست هذه الإرشادات مثالية يصعب تحقيقها، إذ ليست عسيرة بحيث لا تتلائم إلا مع أصحاب المثل العليا ممن هم على قدر كبير من التربية الأخلاقية العالية، بيد أنه باستطاعتنا تجنب المشكلات التي تم

[1]- عبد الحكيم أسابع، العنوسة، المرجع السابق، ص 175.- عبد الرب نواب الدين آل نواب، تأخر سن الزواج، المرجع السابق، ص 258.

عرضها ضمن الأطر العامة لمخاطر العنوسة و آثارها، فهذه التوجيهات يمكن الاستفادة منها من قبل الأشخاص العاديين وكذلك من طرف من هم ذوو القدر البسيط من المعرفة والخبرة، ويمكن بيان هذه الإرشادات في الإشارات الآتية:

/- إن الزواج ظاهرة طبيعية و هو أيضا مهمة نفسية واجتماعية لا يقوم بها إلا من بلغ سن النضج النفسي والعقلي، حتى يدرك معنى الاستقرار والثبات في الحياة الزوجية، أو حتى يلقى استعدادا عمليا و تهيئة جسمية يستطيع معها مواجهة تبعات الحياة الزوجية بوعي و تبصر وحسن تصرف[1].

ذلك أن للزواج متاعبه ومشكلاته التي تتطلب الحل بقدر غير قليل من النضج، والزواج طريق وعر لا يخلو من أشواك، وهذا كله لا يدعو إلى التهيب أو التهرب من المسؤولية، لأن الإقدام على الزواج أو عدم الإقدام عليه نتيجة التردد و الخوف من المستقبل أدعى إلى فشل الفكرة قبل كينونتها، و لأن الزواج كذلك ليس هو الاتصال الجنسي فقط، وإنما هو نفسه في صورة مصغرة فما بالك بباقي الصور.

/- إن الإسراف في الخيال و الأحلام مبعثه الابتعاد عن مواجهة الواقع كما هو، بل الأولى ضبط العاطفة بالعقل، وهذا يحتاج إلى دوام اجتهاد حتى لا يتم الاصطدام بالواقع، وبالتالي الإصابة بخيبة أمل، فكوني أختي واقعية في مطالبك، متحلية بشخصية واعية و ناضجة لا تستسلم للخداع و لا لتضليل النفس.

/- الحذر من الهوى الجامح لأنه قصير الأمد، بل الأصل الشعور بالمعية التي تثبت الحب حول موضوع واحد، فيضفي عليه الثبات والاستقرار.

/- إن النجاح لبلوغ الزواج ينطوي على أكثر من مجرد العثور على الشخص الصالح أو الملائم، لأنه يفترض أولا أن تكوني أنت نفسك شخصا صالحا أو شريكا ملائما، لأن الزواج هو المرآة التي تتكشف من خلالها العيوب في وضح النهار، وهو وسيلة كذلك للكشف عن الضعف في شتى نواحيه.

/- مزج الحافز النفسي بعواطف الرفق واللطف لك ومن حولك، مع مراعاة ما لعامل الزمن من أهمية قصوى في الانسجام المنشود.

/- حاربي في نفسك كل ميل إلى الاستسلام للهم والقلق، أو أن تظهري بمظهر الضعيف لأنه لا بد من الرغبة الصادقة، والعمل المستمر على تحقيق ذلك، مع الصبر و الأناة، مع تجنب أسباب السأم خاصة التكرار و الرتابة، بمعنى آخر كوني اجتماعية.

[1]- زكريا إبراهيم، الزواج والاستقرار النفسي، ط3، مصر، مكتبة مصر، 1986، ص 15-16.

/- إن الدعم الاجتماعي لمشاكل العنوسة يقتضي إنشاء مكاتب للإرشاد العائلي[1] لتوجيه الشباب نحو الزواج المثمر، والأخذ بيد الشباب لتجنب مختلف المشاكل التي تعترض بداية المشوار نحو الزواج والخروج من عالم اللازواج ولعل أهم التوجيهات الممكنة:

- التدخل من طرف أهل التخصص لتقرير اعتماد معيار يتلائم مع الظروف الاقتصادية لبيان المهر و توابعه.
- تشجيع القدوة الحسنة في المهور اليسيرة و تكريم الأسر الفاعلة في هذا الخصوص.
- دخول الدولة كطرف فاعل في تمويل المقبلين على الزواج خاصة مظهر الزواج الجماعي، ولما لا تدعيم صندوق الزواج و تفعليه.
- توعية الآباء بأهم شروط المتقدم للزواج أي الاستعفاف و درجة الدين والصلاح.
- توسيع دائرة الزواج ليكون خارج الأقارب وتمكين الفتاة من إبداء رأيها بمسؤولية.
- محاذير: - احذري الذئاب البشرية.
- احذري الاختلاء.
- احذري مكالمات الهواتف النقالة.
- احذري صديقات السوء.
- غض الطرف.
- لا تكوني مسترجلة و لا مستهترة.
- كوني حليلة لا خليلة.

ملحق جامع لأهم الأسباب و الآثار وبعض الحلول لظاهرة تأخر سن الزواج

الأسباب والآثار الاجتماعية وبعض الحلول المقترحة.

[1]- صالح حسن الداهري، أساسيات الإرشاد الزواجي والأسري، ط1، الأردن، دار صفاء، 1429/2008، ص 269.

- قلة الشباب الملتزم وقلة الفتيات المتدينات.
- انخفاض عدد من يرغب ويتقدم للزواج
- الخوف من المستقبل والمجهول
- عضل الأب أو الولي تزويج كريمته
- أنانية الرجل و كذا المرأة
- تراجع دور الخاطبة وعدم الثقة فيها
- غلاء المهور والتهرب من تكاليف الزواج والاشتراط

-قلة النسل.
- ضعف الروابط الاجتماعية.
-ضعف تربية الأولاد نتيجة الكبر.
-أخطار خلقية: الزنا والشذوذ الجنسي.
-اتساع دائرة الزواج العرفي.

-إعادة البناء الأخلاقي.
- إصلاح العادات والتقاليد كتزويج من تطلب أولا.
-اشتراط الكفاءة.
- توسيع مجال الإرشاد الأسري وضمنه الإرشاد الخاص بالعنوسة.
- تقنين الخطبة.

الأسباب و الآثار النفسية وبعض الحلول المقترحة

- الخوف من المستقبل المجهول
- عدم الاكثرات للزواج
- الهروب من تحمل المسؤولية
- الخجل الشديد أو انعدامه البتة
- العزوف عن الحياة نتيجة الاكتئاب و كره الحياة
- عدم الثقة في النفس و الآخر
- تصور الزواج حرب و شجار لا ينتهي

- القلق و الكأبة والتشاؤم.
-العزلة والانطوائية.
- العدوانية والحقد على الناس.
- السأم من الحياة.
-التفكير في الانتحار والإقدام عليه.
-التماس العون من المشعوذين

-التربية الروحية.
- نشر ثقافة الزواج و التوعية بخصوصه.
-تطبيق المعايير الشرعية في الاختيار.
-محاربة التقاليد الوافدة.
- التعاون الأسري و الاجتماعي.
- الدعم النفسي للشباب.
- التبكير بالزواج.
- قبول فكرة التعدد.

الأسباب و الآثار الاقتصادية وبعض الحلول المقترحة

- الفقر و البطالة
- أزمة السكن
- غلاء المهور و ارتفاع تكاليف الزواج
- إصرار الفتاة العمل مع رفض الطرف الآخر

- تأمين فرص العمل.
- التخفيف من أزمة السكن.
- تخفيض المهور .
- الحد من غلاء تكاليف الزواج.
- تشجيع الأعراس الجماعية.
- إنشاء صندوق خاص بالزواج.

الأسباب و الآثار الثقافية وبعض الحلول المقترحة

- تأخر النضج الفكري الخاص بالزواج
- تغير أنماط الحياة المعاصرة
- غياب الحوافز المشجعة على الزواج
- عدم العثور على الكفء
- التفاخر والمظاهر الكاذبة
- التعالي: جامعية، موظفة، ثرية، ذات جاه.
- ضعف الوعي الديني بأهمية الزواج عند ولي الفتاة
- عدم الرغبة في الزواج لانشغالات أهم: الدراسة، العمل

العلاج: عدم التذرع بأية حجة خاصة مواصلة التعليم.

-المحافظة على أنوثة المرأة لأنها بها تحافظ على كيانها فلا هى بالمسترجلة ولا المستهترة.